المبحث الرابع

إنتشار صناعة الورق في الأندلس وظهور طبقة الوراقين

كانت الشعوب في القدم، وفي أوربا وعلى إمتداد كل العصر الوسيط، كانت تستخدِم ورق البردي المصري في الكتابة، أوالرّق (جلود الحيوانات بعد دبغها)، وهيَ مواد غالية الثمن في الأسواق دائماً، أما لندرتها، أو لِتكاليف إعدادها، أما العرب فقد إستخدَموا الوَرَقَ منذُ زمن مُبكر جداً[1].

وكانَ لِأزدهار حركة التأليف في العصر العباسي وشيوع الترجمة من اليونانية والفارسية،والهندية، أَنْ نَشَأت مِهنة إشتقَ إسمها من الوَرَقْ الذي عرِفَ في سَمَرقَند وإزدهر صناته في بغداد وبعضِ الحواضر ألإسلاميةِ الأخرى، فَعرِّفَتْ هذِهِ المِهنة بِإسم الوِراقة، وعُرِفَ مُتَعاطوها بِإسم (الوراقين)[2].

ومعلوم أن صناعة الورق دخلت البلدان العربية في أواسط (القرن الثامن الميلادي /الثاني الهجري) من الصين عن طريق سمرقند، ودخلت الأندلس في حدود سنة (1150م)[3].

وكان من أبلغ أثر للحضارة الإسلامية في حضارة أوربا، هوَ دخُول صِناعة الوَرق التي تعلمها مسلموا الأندلس من المشرق الإسلامي ونقلوها إلى أوربا، وظهرت إيطاليا،ثمَ عرفتها فرنسا وألمانيا وإنكلترا[4].

أدخل المسلمون صناعة الورق الى الأندلس التي إشتهرت بجودةِ وغزارة إنتاجه[5]، فقد تأسسَ أول مصنع للورق في الأندلس في مدينة شاطبة، وهذا المصنع يُعتَبَر أول مصنع أُسسَ على أرضٍ أوربية، عن طريق الأندلس، وذكر المؤرخون صناعة الورق بالأندلس ((وبشاطبة[6] الكاغد الطيب الذي ليس في المعمور الأرض مثلهُ))[7]

فقد كانَ لإنتشار صناعة الورق (الكاغِدْ) في الأندلس عاملٌ مهم في عملية إزدهار الحركة الفكرية في الأندلس،والذي إنتقل من الشرق الى الأندلس فإنتقل عن طريقها الى أوربا[8].

---

(1) مؤلف مجهول، تأريخ الأندلس، ص 134؛ ريبيرا، خوليان، التربية الإسلامية في الأندلس، اصُولها المشرقية وتأثيراتِها الغربية، ترجمة الطاهر احمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1994م، ص149.

(2) الجبوري، يحيى وهيّب: الكتاب في الحضارة العربية الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص 65؛ كذلك الناظور، شحادة وآخرون، مدخل إلى تأرريخ الحضارة العربية الإسلامية،، دار الأمل، إربد – الأردن، 1989م، ص 321.

(3) حتي، تأريخ العرب، ص 140.

(4) الأبيض، بحوث في تأريخ، ص 18.

(5) فيرنت، خوان، فضل العرب على ثقافة الغرب، ترجمة نهاد رضا، ومراجعة فاضل السباعي، إشبيلية للدراسات والترجمة، دمشق، 1997م، 46.

(6) شاطبة: مدينة جليلة في الأندلس حصينة لها قصبتان، ممتنعتان، وهي كريمة البقعة كثيرة الثمرة، عظيمة الفائدة، طيبة الهواء، وهي قريبة من جزيرة شقر، ويعمل بها (الكاغد) الورق الذي لا نظير لها بمعمور الأرض ويعم هذا الشرق والغرب.
أنظر: الحميري، الروض المعطار، ص 337.

(7) الحميري، المصدر السابق، 337؛ ينظر، حمادة، ماهر، الكتاب في العالم، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ - 1994م، ص 1520

(8) شرف الدين، عبد التواب، تأريخ أوعية المعرفة، الدار الدولية للنشر و التوزيع، القاهرة، 1998م، ص 106؛ مصطفى، دول العالم الإسلامي، ج1ص 613.؛ البشري، الحياة العلمية ص 128.

وأدى ذلكَ إلى كثرة التاليف للكُتُبْ وإنتشارهُ حتى أصبح الكتابُ سهلَ التداولِ والإقتناءِ بين عموم الأندلسين، وساعد في ظهور طبقة الوّراقين (النُسّاخ)، حيثُ كان للوّراقين الأثر الفعال في تنشيط الحركة العلمية وتيّسيرها، وتطوير الكتاب والإفتتان في إخراجِهِ وتجليدهِ وتذهيبِهِ[1].

وفضلاً عن ذلك، فقد كانَ للوراقين إسهاماتِهم في الحياة العلمية والفكرية والأدبية التي عاشها المُسلمون في أوج الحضارة الإسلامية [2].

وحوانيت الوراقين، هي الأماكن الخاصة ببيع الكتب، فتِحَتْ لأغراض تجارية؛ إلا أنها تحوّلت إلى مسرح للثقافة والحوار العلمي، فكان الوراقون هم الذين يُنسخون الكتب الهامة ويعرضونها للراغبين بها [3].

ولم تكن حوانيت الوراقين مقتصرة على بيع الكتب والإتجار فيها، وإنما إسهمت هي الأخرى في حركة العلم والثقافة ولعل لوجود أفاضل العلماء وأماثل الفقهاء في طائفة الوراقين ما يلقي الضوء على عمق ما كان يدور في حوانيت الوراقين من محاورات ومناظرات وملتقى لأفاضلهم، يتذاكرون، ويتناقشون في مجلس علمي يحضرها طلاب العلم والمعرفة[4].

ومن أشتهر أولئك الوراقين عباس بن عمرو بن هارون الكتاني (295- 379هـ/ 907- 989م) والذي كان من أهل صِقلية، قدِمَ الأندلسَ من القيروان، والذي عُرِفَ بحبهِ للعلم وانزلهُ الخليفة المستنصر بالله منزلةً كريمة وعينهُ مسؤولاً عن الوراقين وأمدهُ بكل ما يلزم من الورق والمِداد وغيرها من أدوات الوراقة [5].

وتبين لنا مما سبق ذكرة أن العرب المسلمين قد عرفوا صناعة الورق الذي أصبح يستخدم في الكتابة والتأليف العلمي،وإنتقللت صناعة الورق إلى الأندلسَ فإشتهرت بِصناعة الوَرَق الراقي الذي كانَ مرّكزهُ في مدينة شاطبة التي كانت تنتج الورق الذي لا نظير له بمعمور الأرض، وصنعة الورق كانت من ضمن ما تصدره الأندلس إلى أوربا.

التي أخذت عن الأندلسيين صناعته، و أول مصنع أسس في أوربا سنة (339هـ /95.)[6].

وكان لإنتشار صناعة الورق في الأندلس عاملاً مهماً قي إزدهار وسائل إنتشار الثقافة والعلوم ينسخ الكتب بكثرة مطردة وتيّسير تداول الكتب والمصنفات العلمية بين عموم الأنداسيين، مما أدى إلى إبتكار أنواع من المداد الأسود والأحمر والأبيض وإشتهرت بلنسية بالكتابة المذهبة، وكما أدت بدورها إلى إزدهار صناعة تسفير الكتب أي تجليدها وتذهيبها بدرجة عالية الدقة من الرقي والإتقان[7]، وكانت أوربا قبل أن يؤسس العرب مصانع الورق في

---

(1) ابن النديم، ابي الفرج بن أبي يعقوب إسحاق (ت 380هـ/ 990م)، الفهرست، تحقيق، يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1422هـ - 2002م، ص 18ص19.؛ عزب، الحياة الفكرية، ص ص119- 120؛ الكروي، المرجع في الحضارة العربية الاسلامية، ص 456.

(2) النملة، علي إبراهيم، الوراقة وأشهر الوراقين، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية – السلسلة الثالثة - الرياض، 1415هـ - 1995م، ص 48.

(3) محاسنة، أضواء على تأريخ العلوم، ص 154.

(4) عبدالعال، التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ص 192.؛ ينظر في أسماء العلماء الذين كانوا يعملون في التوريق والوراقة، الخطيب البغدادي، تأريخ بغداد، ج2 ص224 ص236.

(5) ابن الفرضي: تاريخ علماء الاندلس، ص 240. ترجمتهُ برقم 886.

(6) الشكيل، علي جمعان، الكيمياء في الحضارة الإسلامية، دار الشروق، القاهرة –بيروت، 1402هـ - 1989م، ص 145.

(7) دندش، عصمت عبداللطيف، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني (510- 546هـ /1116-1151م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1408هـ - 1988م، ص 186.

الأندلس، كانت تستورد ما يلزمها من الورق من الشرق العربي [1]، حتى قيل: ((بلا مشاحنة فأن هدية الورق هي إحدى الهدايا المباركة التي قدمها الإسلام لأوربا بعد أن تعلم العرب ذلك في سمرقند))[2].

(1) مظهر، جلال، الحضارة الإسلامية أساس التقدم العلمي الحديث، نشر مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، ب/ت، ص112

(2) ريسلر، جاك، الحضارة العربية، ترجمة خليل احمد خليل، منشورات عويدات، بيروت – باريس، 1993م، ص 187.